خيرهم أكثرهم فضائل

وجرى ذكر ما بين العرب والأكراد من الفضل فقال سيف الدولة: ما تقول في هذا يا أبا الطيب؟ فقال:

[الرجز]

إِنْ كُنْتَ عَنْ خَيْرِ الأَنَامِ سَائِلَا
فَخَيْرُهُمْ أَكْثَرُهُمْ فَضَائِلَا(١)
مَنْ كُنْتَ مِنهمْ يَا هُمَامَ وَائِلَا
أَلطَّاعِنِينَ فِي الوَغَى أَوَائِلَا(٢)
وَالعَاذِلِينَ فِي النَّدَى العَوَاذِلَا
قَدْ فَضَلُوا بِفَضْلِكَ القَبَائِلَا(٣)

كل عزيز للأمير ذليل

وقال يمدح سيف الدولة أيضاً:

[الطويل]

لَيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ
طِوَالٌ وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلُ(٤)

---

(١) و (٢) الأنام: الناس، البشر. يُجيب الشاعر الأمير أن خير البشر هم من يتّصفون بكثرة فضائلهم، وتلك الفضائل تتمحور حول الشجاعة والكرم وعلوّ الأنساب، إنهم العرب والأمير منهم إنه الملك الهمام الشهم ذو الهمَّة العالية، وهم الطاعنون أعداءهم في الحروب من بني وائل عشيرة سيف الدولة.

(٣) العاذلين، الواحد عاذل: اللائمين. الندى: الجود والكرم. العواذل: اللائمات. قبيلة الشاعر تلوم اللائمين بالردّ العمليّ عليهم، إنهم يلومونهم بالجود، فإذا بهم يُسبغون عطاياهم بلا حساب، وبكرم عظيم ويلومونهم بكثرة غزوهم لأعدائهم فلا يهتمون لذلك بل يردّون عليهم بزيادة غزواتهم، ولقد وصلوا إلى أعلى مكانة بفضل الأمير فكانوا خير قبيلة بين سائر قبائل العرب يرأسها خير أمير.

(٤) الظاعنين، الواحد ظاعن: مرتحل. شكول، الواحد شكل: مثيل. يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بمطلع غزلي. تختلف نظرة البشر لليل باختلاف ميولهم ورغباتهم، فمنهم من يراه راحة بالٍ وجسد، ومنهم من يراه عذاباً وألماً إذا كان مريضاً، ومنهم =

يُـبِـنَّ لِـيَ الْـبَـدْرَ الَّـذِي لا أُرِيـدُهُ،
وَيُـخْـفِـيـنَ بَـدْراً مَـا إلَـيْـهِ سَـبِـيـلُ[١]
وَمَـا عِـشْـتُ مِـنْ بَـعْـدِ الأحِـبَّـةِ سَـلْـوَةً
وَلَـكِـنَّـنِـي لِـلـنَّـائِـبَـاتِ حَـمُـولُ[٢]
وَإنَّ رَحِـيـلاً وَاحِـداً حَـالَ بَـيْـنَـنَـا،
وَفِـي الـمَـوْتِ مِـنْ بَـعْـدِ الـرَّحِـيـلِ رَحِـيـلُ[٣]
إذَا كَـانَ شَـمُّ الـرَّوْحِ أَدْنَـى إلَـيْـكُـمُ
فَـلَا بَـرِحَـتْـنِـي رَوْضَـةٌ وَقَـبُـولُ[٤]

= من يراه يمضي سريعاً إذا كان إلى جانب المحبوب، أما بالنسبة للشاعر فيراه مع الراحلين يمضي على وتيرة واحدة لأن ما يشغل بالهم واحد في مبتدئه ومنتهاه، أما الشاعر فيراه طويلاً مملّاً، إنه عاشق ولهان، رحلت حبيبته مع الظاعنين وتركته ينظر من بعيد يتألم مستسلماً لإرادة من بيده الأمر.

(١) الشاعر ساهر أرق، أرّقه الشوق ينظر إلى القمر بدراً جميلاً، فلا يجده كذلك لذا فإنه لا يريده؛ فالليالي أخفت بدراً جميلاً يهواه الشاعر بظلمتها وبمسافات شاسعة تفصلها عنه.

(٢) وردت الأبيات التسعة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤١ـ ١٤٢. سلوة: نسياناً. النائبات، الواحدة نائبة: المصائب والويلات. حمول: صبور يحتمل المكاره. إن الشاعر لم ينس أحبّته فلا زال الحبّ والشوق إليهم يُثير فيه لاعج الحبّ، ولقد اعتاد على معايشة المصائب تتوالى عليه فيتحمّلها في سبيل الحبّ محتسباً.

(٣) يذكر الشاعر أن سوء ما وصل إليه من نفسية سببه رحيل من أحبّ، وهو بلا شكّ أهون عليه من فراق أبديّ، وقد يُسبّب له الموت إن لم يكن ثمّة لقاء من جديد.

(٤) الروح: نسيم الرياح الشرقية. برح: فارق. القبول: ريح الصبا الرقيق الناعم. الروضة: الحديقة ذات الأشجار والرياحين. يُخاطب الشاعر حبيبته أن الرياح المنبعثة من قبلها تحيي فيه ذكريات حلوة يتنسّمها مع النسيم الرقيق، فيُحسّ بتقارب وجداني يربطه بحبيبته وبماضيه العذب الحنون، وهو يتمنّى لو يدوم له هذا الإحساس، إنه روضة مشاعره حيث ينعم بظلّ ظليلٍ رغد فيعيده إلى ماضٍ حالم حنون جميل.

وَمَـا شَـرَقِـي بِـالْـمَـاءِ إِلَّا تَـذَكُّـراً
لِـمَـاءٍ بِـهِ أَهْـلُ الْـحَـبِـيـبِ نُـزُولُ[١]
يُـحَـرِّمُـهُ لَـمْـعُ الْأَسِـنَّـةِ فَـوْقَـهُ
فَـلَـيْـسَ لِـلْـظَـمْـآنِ إِلَـيْـهِ وُصُـولُ[٢]
أَمَـا فِـي الـنُّـجُـومِ الـسَّـائِـرَاتِ وَغَـيْـرِهَـا
لِـعَـيْـنِـي عَـلَـى ضَـوْءِ الـصَّـبَـاحِ دَلِـيـلُ؟[٣]
أَلَـمْ يَـرَ هَـذَا الـلَّـيْـلُ عَـيْـنَـيْـكِ رُؤْيَـتِـي
فَـتَـظْـهَـرَ فِـيـهِ رِقَّـةٌ وَنُـحُـولُ[٤]
لَـقِـيـتُ بِـدَرْبِ الـقُـلَّـةِ الْـفَـجْـرَ لَـقْـيَـةً
شَـفَـتْ كَـبِـدِي وَالـلَّـيْـلُ فِـيـهِ قَـتِـيـلُ[٥]

---

(١) الشرق: الغصص. الماء سرّ الحياة ودفقها، ولكن الشاعر يجد غصصاً إذا شربه يجد صعوبة ببلعه، ذلك أن الماء الذي نزل عليه القوم تتذوّقه حبيبته عذباً زلالاً، وهو بدوره يودّ لو يستقي منه ليحُسّ بإحساسها ويقرب منها.

(٢) ثمّة مانع يمنع الشاعر من الوصول إلى حبيبته، إنها تُصان بحماة أقوياء يحولون دونهما، فرماحهم مشرّعة، فلا يستطيع ظمآن أن يروي عطشه من ماء يحلو طعمه ومذاقه، لذا فعليه أن يبقى ظمآن دائماً؛ فلا سبيل للقاء، وذلك محال.

(٣) يتمنّى الشاعر زوال الليل، لينعم بتباشير فجر جديد، فليله طويل مملٌّ ونجومه لم تُساعده على اكتشاف معالم طريقه وخلاصه من ليل مظلم، رغم وجود النجوم الباهتة يسأل الشاعر وقد طال ليله عن نهار يبسم عن أمل مشرق جميل.

(٤) يسأل الشاعر ألم يحن لليل أن يرى عيني حبيبته بنفس المنظار والعينين اللتين تزيّنان وجهه؟ فيحلّ ما حلّ به من هيام وحبّ لفتاة آية في الجمال والكمال، فإذا ما حصل ذلك أدّى إلى نحوله وبالتالي إلى رحيله وزواله.

(٥) درب القُلّة: موضع وراء الفرات. يروى «كمدي» بدلاً من «كبدي»: وكمدي حزني. لقد كان لقاء مفرح حين وصل الشاعر إلى درب القلة، فإذا بالليل وقد بدأ يلفظ أنفاسه وتباشير فجر جديد يلوح من بعيد بشفق أحمر كأنه قتيل في النزع الأخير، وهذا ما أراح الشاعر وشفى كبده من غيظه وغضبه ممَّا جناه الليل عليه.

وَيَـوْمـاً كَـأَنَّ ٱلْـحُـسْـنَ فِـيـهِ عَـلَامَـةٌ
بَـعَـثْـتِ بِـهَـا وَالـشَّـمْـسُ مِـنْـكِ رَسُـولُ[١]
وَمَـا قَـبْـلَ سَـيْـفِ الـدّوْلَـةِ اثَّـارَ عَـاشِـقٌ
وَلَا طُـلِـبَـتْ عِـنْـدَ الـظَّـلَامِ ذُحُـولُ[٢]
وَلٰـكِـنَّـهُ يَـأْتِـي بِـكُـلِّ غَـرِيـبَـةٍ
تَـرُوقُ عَـلَـى اسْـتِـغْـرَابِـهَـا وَتَـهُـولُ[٣]
رَمَـى الـدَّرْبَ بِـالْـجُـرْدِ ٱلْـجِـيَـادِ إِلَـى الْـعِـدَى
وَمَـا عَـلِـمُـوا أَنَّ الـسِّـهَـامَ خُـيُـولُ[٤]
شَـوَائِـلَ تَـشْـوَالَ ٱلْـعَـقَـارِبِ بِـٱلْـقَـنَـا
لَـهَـا مَـرَحٌ مِـنْ تَـحْـتِـهِ وَصَـهِـيـلُ[٥]

(١) يُتابع الشاعر حديثه عن ذلك اليوم وما يُوحيه إليه من بُشرى بسعادة قادمة، بعد ليل حطّ على صدره ثقله بهموم لا حصر لها؛ إنها شمس حنان ودفء في فجر تباشيره تُوحي بالتفاؤل وتفتّح أمل جديد بعثت به محبوبة الشاعر رسول محبّة بشمس وادعة لطيفة.

(٢) اثار: أدرك ثأره. الذحول، الواحد ذحل: الثأر. يتابع الشاعر حديثه، فلقد تمكّن الشاعر من الانتقام من ذلك الليل الطويل لنفسه منه بانتصار سيف الدولة على أعدائه، فثأر وهنا البشرى بتحول وجهة حياة الشاعر إلى مسار جديد سعيد، وبذلك استراح الشاعر وشفي من آلامه التي أتى الليل الطويل بها، ولم يكن ذلك حاصلاً في ما مضى بأن ينتقم امرؤ من الليل.

(٣) الغريبة: الأمر العجب. تروق: تعجب. تهول: ترعب. يمدح الشاعر سيف الدولة؛ ففي كلّ يوم يأتي بالعجيب من الأمور العظام من خوارق العادات المثيرة للدهشة ممّا لا يخطر على بال، فإذا بالناس يستعظمونها استعظاماً لها ولصاحبها فتقع المهابة له في قلوبهم.

(٤) الدرب: الطريق المؤدّي إلى بلاد الروم. الجرد، الواحدة جرداء: الخيول القصيرة شعر الجلد. يتحدّث الشاعر منوّهاً بجرأة سيف الدولة، فقد تسلّط على بلاد الروم، فاقتحم دروبهم بجياد عربية جرداء كأنها سهام لسرعتها، والمفاجأة أن هؤلاء لم يدروا أن الخيول سهام تمرق مسرعة كالبرق.

(٥) شوائل: ترفع أذنابها كالعقارب. القنا: الرماح. المرح: شدّة النشاط بعد اللعب.

وَمَـا هِـيَ إلَّا خَـطْـرَةٌ عَـرَضَـتْ لَـهُ
بِـحَـرَّانَ لَـبَّـتْـهَـا قَـنـاً وَنُـصُـولُ(١)
هُـمَـامٌ إذَا مَـا هَـمَّ أَمْـضَـى هُـمُـومَـهُ
بِـأَرْعَـنَ وَطْءُ الـمَـوْتِ فِـيـهِ ثَـقِـيـلُ(٢)
وَخَـيْـلٍ بَـرَاهَـا الـرَّكْـضُ فـي كُـلِّ بَـلْـدَةٍ
إذَا عَـرَّسَـتْ فِـيـهَـا فَـلَـيْـسَ تَـقِـيـلُ(٣)
فَـلَـمَّـا تَـجَـلَّـى مِـنْ دَلُـوكٍ وَصَـنْـجَـةٍ
عَـلَـتْ كُـلَّ طَـوْدٍ رَايَـةٌ وَرَعِـيـلُ(٤)

= يصف الشاعر انطلاق تلك الجياد بسرعة عظيمة بفرسانها الذين يرفعون رماحهم استعداداً لبدء المعركة كأنهم أذناب عقارب مرفوعة تتهيّأ للانقضاض على فرائسها.

(١) الخطرة: السانحة تطرأ على بال صاحبها بسرعة. حرّان: اسم بلد. لبّتها: أجابتها. النصول، الواحد نصل: السيوف. يُطلعنا الشاعر على أريحيّة ممدوحه، فبدون سابق إنذار طرأت سانحة على باله بسرعة؛ أن يقوم بغزوة خاطفة سريعة، وبدون أدنى تردّد تأهب الجند بسلاحهم، الرماح والسيوف، وكان النصر عظيماً.

(٢) الهمام: الملك العظيم. همّ بالأمر: عزم على تنفيذه. أمضى: شرع بتنفيذه. الأرعن: الجيش العظيم. يصف الشاعر الأمير، إنه ملك عظيم مهاب جليل، يُسارع إلى تنفيذ ما يخطر بباله حالما يرى رأيه به، فإذا به يتقدّم جيشه الأرعن الكثير العدد بحيث يُغطّي الأرض؛ ففي كل خطوة يخطوها يزرع الموت في صفوف أعدائه بعنف وقوّة، فيكسر شوكتهم رغم محاولاتهم للقضاء عليه.

(٣) براها: أضناها وهزلها. التعريس: نزول الركب آخر الليل للراحة. تقيل: تنزل عند الظهيرة للاستراحة ونوم القيلولة. يصف الشاعر سرعة زحف ذلك الجيش، فالخيول قد أهزلها استمرار العدو والركض المتواصل، فهي لا تعرف للراحة طعماً، فإذا دخلت مدينة من مدن العدو لا تنزل بها لتستجمّ وتستريح، بل إنها تنتقل إلى بلد آخر لتصبح مع الفجر في مدينة أخرى، وهكذا حال الجيش على الدوام.

(٤) تجلّى: بدا. دلوك: موضع وراء الفرات. صنجة: نهر بين ديار بكر وديار مضر. الطود: الجبل المرتفع. الرعيل: القطعة من الخيول. يصف الشاعر انتشار جيش سيف الدولة وقد انقسم قسمين؛ وذلك بعدما خرج من دلوك وصنجة، فإذا بالفرسان قد انتشروا في الجبال، فبدت راياتهم على سمت السماء معانقة النجوم.

عَـلَـى طُـرُقٍ فِـيـهَـا عَـلَـى الـطُّـرْقِ رِفْـعَـةٌ
وَفِـي ذِكْـرِهَـا عِـنْـدَ ٱلْأَنِـيـسِ خُـمُـولُ(١)

فَـمَـا شَـعَـرُوا حَـتَّـى رَأَوْهَـا مُـغِـيـرَةً
قِـبَـاحـاً وَأَمَّـا خَـلْـقُـهَـا فَـجَـمِـيـلُ(٢)

سَـحَـائِـبُ يُـمْـطِـرْنَ الْـحَـدِيـدَ عَـلَـيْـهِـم
فَـكُـلُّ مَـكَـانٍ بـالـسُّـيُـوفِ غَـسِـيـلُ(٣)

وَأَمْـسَـى الـسَّـبَـايَـا يَـنْـتَـحِـبْـنَ بِـعِـرْقَـةٍ
كَـأَنَّ جُـيُـوبَ الـثَّـاكِـلَاتِ ذُيُـولُ(٤)

وَعَـادَتْ فَـظَـنُّـوهَـا بِـمَـوْزَارَ قُـفَّـلاً
وَلَـيْـسَ لَـهَـا إلَّا الـدُّخُـولَ قُـفُـولُ(٥)

فَـخَـاضَـتْ نَـجِـيـعَ الْـقَـوْمِ خَـوْضـاً كَـأَنَّـهُ
بِـكُـلِّ نَـجِـيـعٍ لَـمْ تَـخُـضْـهُ كَـفِـيـلُ(٦)

---

(١) الخمول: زوال الذكر. يصف الشاعر ارتياد جيش سيف الدولة لجبال الروم الشامخة التي لم يسبق أحد إلى ارتيادها من قبل؛ طرق وعرة دونها حوائل وموانع، والركب دائم الزحف بعناد رغم الصعوبات.

(٢) فجأة وبدون سابق إنذار إذا بتلك الجياد تنزل بالروم الموت والدمار، وكان في خلدهم أن تلك الجبال مانعتهم من سيوف المسلمين، فإذا بها تبدو قبيحة في نظرهم لما شاهدوا منها قتلاً وفتكاً، وهي في الحقيقة جميلة الخلق.

(٣) سحائب: الواحدة سحابة؛ غيوم تسحّ مطراً. يصف الشاعر الجيش وما أنزله بالروم، إنها سحب تتدافع تنذر بموت محقّق، فإذا بغيوم تنشر الرعب فنوناً ألوانها دماء تنهمر، وسيوف تبرق وأصوات ترعد رعد الموت، تتهاوى الجثث وتسيل دماؤها فتغسل الأرض بهم ومنهم.

(٤) عرقة: بلد ببلاد الشام. الانتحاب: البكاء المصحوب بعويل. الجيوب، الواحد جيب: ما انفتح من القميص على النحر. الثاكلات، الواحدة ثكلى: المرأة التي فقدت أحد أقربائها. يصف الشاعر الحالة المحزنة التي كانت السبايا عليها، وقد جيء بهن إلى عرقة، فإذا بهن يُثرن الشفقة؛ يبكين قتلاهن وينتحبن وقد تمزّقت أثوابهن فبدت عليهن كأذيال كاشفة عن أجسادهن.

(٥) و (٦) موزار: من حصون الروم. القفول: العودة. ومن مزايا سيف الدولة مهارته =

تُسَايِرُهَا النِّيرَانُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ
بِهِ الْقَوْمُ صَرْعَى وَالدِّيَارُ طُلُولُ[١]
وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فِي دِمَاءِ مَلَطْيَةٍ
مَلَطْيَةُ أُمٌّ لِلْبَنِينَ ثَكُولُ[٢]
وَأَضْعَفْنَ مَا كُلِّفْنَهُ مِنْ قُبَاقِبٍ
فَأَضْحَى كَأَنَّ الْمَاءَ فِيهِ عَلِيلُ[٣]
وَرُعْنَ بِنَا قَلْبَ الْفُرَاتِ كَأَنَّمَا
تَخِرُّ عَلَيْهِ بِالرِّجَالِ سُيُولُ[٤]

= العسكرية، بحيث خدعهم في محاولة التفاف حيث عرّج الجيش على موزار، فظَنَّ الروم أنه يودّ العودة إلى بلاده، فإذا به يحيط بذلك الحصن، ويقع الحصن بيديه، فإذا بالدماء تبدو بحراً متلاطماً، فكانت الكارثة عليهم عظيمة لا تُحتمل حتى ظنّ القوم أنه لم يكن قبلها ما حصل مثلها ولن يكون بعدها مثيلها، ومن هنا كان الرأي أن ما حصل للروم لا يصعب على سيف الدولة فعل مثله أو ما هو أسوأ منه في بلاد الروم لاقتناعهم بكفاءته العسكرية وبطولة جنوده.

(١) يروى «مسلك» بدلاً من «منزل». صرعى، الواحد صريع: قتلى. الطلول، الواحد طلل: بقايا آثار الديار. يصف الشاعر أفعال جيش الأمير؛ إنهم بعدما يقتلون من صادفوا في طريقهم يدمّرون تلك الديار ويحرقونها، فإذا بالنيران ترسم مسار الجيش حيثما حلّوا، ونظرة عجلى على ذلك المكان تبدو الألوان قد تمازجت، لون أسود ودماء حمراء وخراب ودمار، إنها فاجعة صحا عليها الروم فآلمتهم فظاعتها وشناعتها.

(٢) ملطية: من مدن الروم الكبيرة. الثكول، الواحدة ثكلى: المرأة التي فقدت أحد أقربائها. يرسم الشاعر خطّ مسير الدمار الذي شمل بلاد الروم. الجيش يُتابع زحفه، كان على ملطية أن تدفع ثمناً غالياً، دماءً ودماراً، فإذا بدماء سكانها تسيل حتى خاض الجيش في ساحاتها، إنها أمّ تلك البقاع وعاصمتها، فإذا بنسائها ينتحبن مولولات وقد فجعن بأحبابهن، أولادهن، أزواجهن، أخوتهن.

(٣) قباقب: اسم نهر. العليل: المريض. يُتابع الشاعر حديثه عن إنجازات سيف الدولة العسكرية. لقد عبر فرسان الأمير ذلك النهر، قُباقب الذي يسري عنيفاً في تلك الناحية، فإذا به لكثرة الخيل التي أُجبرت على الخوض فيه يكاد يتوقّف جريانه، فيبدو كعليل يلفظ أنفاسه.

(٤) وردت الأبيات الثلاثة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٢. راع:

يُـطَـارِدُ فِـيـهِ مَـوْجَـهُ كَـلُّ سَـابِـحِ
سَـوَاءٌ عَـلَـيْـهِ غَـمْـرَةٌ وَمَـسَـيـلُ (١)
تَـرَاهُ كَـأَنَّ الـمَـاءَ مَـرَّ بِـجِـسْـمِـهِ،
وَأَقْـبَـلَ رَأْسٌ وَحْـدَهُ وَتَـلِـيـلُ (٢)
وَفِي بَـطْـنِ هِـنْـرِيـطٍ وَسِـمْـنِـيـنَ لِـلـظُّـبَـى،
وَصُـمٍّ الـقَـنَـا مِـمَّـنْ أَبَـدْنَ بَـدِيـلُ (٣)
طَـلَـعْـنَ عَـلَـيْـهِـمْ طَـلْـعَـةً يَـعْـرِفُـونَـهَـا
لَـهَـا غُـرَرٌ مَـا تَـنْـقَـضِـي وَحُـجُـولُ (٤)

= أفزع، أخاف. تخرّ: تقع. سيول: متدافعة، منهمرة. يذكر الشاعر عودة الجيش إلى موطنه منتصراً، فقد تخطّى الفرسان نهر الفرات، وما عاد قلبه ينبض بالحياة، فإذا بالرعب يستولي عليه لكثرة ما خاض فيه من جند يتدافعون مسرعين، فإذا بقلبه يكاد يتوقّف نبض الحياة فيه.

(١) السابح: الجواد الذي يمدّ يديه في عدوه كأنه يسبح. الغمرة: الماء الطامي. سيل: مجرى الماء. يصف الشاعر عبور تلك الجياد في النهر، فالأمواج تتدافع بعنف والمياه الغامرة تنفجر متسارعة والخيل تُلاحقها سابحة، كأنها في مباراة سباق عبر مجرى النهر، فلا تهتمّ بما يحصل لها لاعتيادها على الخوض في غمار كهذا.

(٢) التليل: العنق. يُتمّ الشاعر رسم صورة الجياد، وهي تخوض غمار الموج، فلا يبدو منها سوى الرقبة والرأس والفرسان الذين يمتطون تلك الخيول، وتيّار النهر يُحاول أن يُحيدها عن مسارها، ولكنه لم يُفلح في ذلك.

(٣) هِنْريط وسمنين: موضعان في بلاد الروم. الظبى، الواحدة ظبة: حدّ السيف. صمّ القنا: الرماح الصلبة. أباد: أفنى، يذكر الشاعر أن جيوش سيف الدولة قد اعتادت على مهاجمة هِنْريط وسمنين باستمرار، ولطالما عاودت الكرّة المرّة تلو المرّة، فأفنت من كان فيهما، وكانوا طعماً لرماح وسيوف جيش الأمير، ومع ذلك فقد كان الروم يسكنونهما، وقد يكونان من تخوم بلاد الروم كخطّ دفاعيّ عن مملكتهم.

(٤) الغرر، الواحدة غُرّة: بياض في وجه الفرس. الحجول: بياض يكون في قوائم الجياد، يصف الشاعر تكرار مهاجمة هذه الأمكنة من قبل جند الأمير، فقد فاجأت القوم بغتة، ورغم ذلك فإن الروم يعرفون تلك الخيول بصفاتها وفرسانها معرفة حقيقية، إنها محجّلة ذات غرر بيضاء تعتزّ بأصالتها العربية.

تَـمَـلُّ الْـحُـصُـونُ الـشُّـمُّ طُـولَ نِـزَالِـنَـا،
فَـتُـلْـقِـي إِلَـيْـنَـا أَهْـلَـهَـا وَتَـزُولُ[١]
وَبِـتْـنَ بِـحِـصْـنِ الـرَّانِ رَزْحَـى مِـنَ الْـوَجَـى
وَكُـلُّ عَـزِيـزٍ لِـلْأَمِـيـرِ ذَلِـيـلُ[٢]
وَفِـي كُـلِّ نَـفْـسٍ مَـا خَـلَاهُ مَـلَالَـةٌ،
وَفِـي كُـلِّ سَـيْـفٍ مَـا خَـلَاهُ فُـلُـولُ[٣]
وَدُونَ سُـمَـيْـسَـاطَ الـمَـطَـامِـيـرُ وَالـمَـلَا،
وَأَوْدِيَـةٌ مَـجْـهُـولَـةٌ وَهُـجُـولُ[٤]

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٢. الشمّ: المرتفعة. ولكثرة ما قاست حصون الروم المزروعة في تلك الجبال كأنها معلّقة بين السماء والأرض فلم تستعص على جند الأمير، وهم يتسلّقونها باستمرار حتى ملّت الصمود في مجابهة فرسان يمتازون بممارسة المشاق وفنون القتال، فإذا بها ترمي بأفلاذها طعماً للمغيرين وتلفظ أنفاسها على أيديهم.

(٢) حصن الران: أحد حصون الروم. رزحى: منهارة لشدّة تعبها. الوجى: الحفى. يُتابع الشاعر رحلته مع تلك الخيول وهي تتسلّق تلك الجبال الشاهقة، لقد دخلت حصن الران، وقد أنهكها التعب بإلحاح الأمير على متابعة الغزو وذلّلها لطاعته رغم عزّتها وقوّتها، وقد حفيت حوافرها لصلابة صخور تلك الجبال.

(٣) الفلول: الثلوم. يمدح الشاعر سيف الدولة؛ إنه من طينة مميّزة نادرة الوجود، فقد ملّ الجند متابعة الغزو والقتال، وهم يرغبون بأخذ قسط من الراحة ليستردّوا أنفاسهم ويتابعوا القتال في ما بعد، بينما كان الأمير يستنهضهم لمتابعة المهام الصعبة، إنه لا يزال يتمتّع بنشاطه وقدرته على متابعة القتال، فهو سيف قاطع لم يُفلَّ خلاف غيره من جنده.

(٤) سميساط: من بلاد الروم على شاطئ الفرات. المطامير، الواحدة مطمورة: حفائر غائرة في الأرض تستعمل مخبأ للطعام والشارب. الملا، الواحدة ملاة: المفازة ذات حرّ وسراب. الهجول، الواحد هجل: الأرض المطمئنة. يتّخذ الروم الاحتياطات اللازمة في حال مهاجمة أعدائهم لهم، فقد اتّخذوا مطامير حفروها في الأرض يختزنون فيها الطعام والشراب وفي بعض الأحيان السلاح، دون سميساط ذات الموقع الاستراتيجيّ على نهر الفرات، تحيطها أودية ومجاهل وأدغال، ممَّا يزيدها مناعة وقوّة.

لَـبِـسْـنَ الـدُّجَـى فـيـهَـا إلَـى أَرْضِ مَـرْعَـشِ
وَلِـلـرُّوم خَـطْـبٌ فـي الْـبِـلَادِ جَـلِـيـلُ[١]
فَـلَـمَّـا رَأَوْهُ وَحْـدَهُ قَـبْـلَ جَـيْـشِـهِ
دَرَوْا أَنَّ كُـلَّ الْـعَـالَـمِـيـنَ فُـضُـولُ[٢]
وَأَنَّ رِمَـاحَ الْـخَـطِّ عَـنْـهُ قَـصِـيـرَةٌ،
وَأَنَّ حَـدِيـدَ الْـهِـنْـدِ عَـنْـهُ كَـلِـيـلُ[٣]
فَـأَوْرَدَهُـمْ صَـدْرَ الْـحِـصَـانِ وَسَـيْـفَـهُ
فَـتًـى بِـأْسُـهُ مِـثْـلُ الْـعَـطَـاءِ جَـزِيـلُ[٤]

(١) الدجى: العتمة. مرعش: بلد من بلاد المسلمين قرب أنطاكية. الخطب: الأمر الجلل. لا فرق بين ليل أو نهار، فالجيش دائم الاستعداد لما يطرأ من الخطوب. انحدر الجيش في الأودية يقصد أرض مرعش ليلاً، فإذا به فيها والليل لا يزال يلبس رداءه الأسود، ولقد علم سيف بما كان الروم يفعلون بالمسلمين في مرعش من اعتداءات ويعيثون فساداً. لذا تبادر المسلمون للدفاع عن المدينة وساكنيها فكان النصيب الأكبر لسيف الدولة، فراح يفتك بالروم قتلاً وتنكيلاً، فعادوا يجرّون خلفهم هزيمة منكرة.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٢. يروى «ولما» بدلاً من «فلما». دروا: علموا. فضول: زوائد. الروم يعملون فساداً في الأرض، وفجأة غبار يتصاعد من بعيد، يتبيّن القوم فارساً مسربلاً بالحديد، تقع العيون على العيون، إنه سيف الدولة بمفرده، طليعة جيش آتٍ لا محالة، فأدرك القوم أنه بمثابة جيش بما تحمل الكلمة من معنًى ودلالة، لقد جعل الأمير إلى المسارعة والمخاطرة بنفسه شعوره بمعنى المسؤولية فضلاً عن شعوره الديني، فحماية المسلمين واجب على كلّ فرد، وبخاصة على ذوي الأمر في الأمة.

(٣) الخطّ: الرمح المنسوب إلى الخط موضع في اليمامة يصنع هذا النوع من الرماح. حديد الهند: السيف الهندي. عليل: الذي يعجز عن القطع، يُتابع الشاعر حديثه عن سيف الدولة وشجاعته، فالرماح الخطيّة، رغم طولها تبقى عاجزة وقاصرة عن أن تصل إليه، وكذلك فالسيوف الهندية عاجزة عن مجالدته لأنها كليلة.

(٤) أوردهم: استقبلهم وجعلهم مورداً يشرب من دمائهم. البأس: القوّة والشجاعة. جزيل: كثير، يمدح الشاعر سيف الدولة، إنه فتًى كامل الفتوة، شجاعة، كرماً، =

جَـوَادٌ عَـلَـى الْـعِـلَّاتِ بِـالـمَـالِ كُـلِّـهِ
وَلَـكِـنَّـهُ بِـالـدَّارِعِـيـنَ بَـخِـيـلُ(١)
فَـوَدَّعَ قَـتْـلَاهُـمْ وَشَـيَّـعَ فَـلَّـهُـمْ
بِـضَـرْبٍ حُـزُونُ الْـبَـيْـضِ فـيـهِ سُـهُـولُ(٢)
عَـلَـى قَـلْـبِ قُـسْـطَـنْـطِـيـنَ مِـنْـهُ تَـعَـجُّـبٌ،
وَإِنْ كَـانَ فـي سَـاقَـيْـهِ مِـنْـهُ كُـبُـولُ(٣)
لَـعَـلَّـكَ يَـوْمـاً يَـا دُمُـسْـتُـقُ عَـائِـدٌ
فـكَـمْ هَـارِبٍ مِـمَّـا إِلَـيْـهِ يَـؤُولُ(٤)
نَـجَـوْتَ بِـإِحْـدَى مُـهْـجَـتَـيْـكَ جَـرِيـحَـةً
وَخَـلَّـفْـتَ إِحْـدَى مُـهْـجَـتَـيْـكَ تَـسِـيـلُ(٥)

= أصالة نسب، كرم أخلاق، حالما وصل إلى الميدان لم يسترح، بل إنه انحدر إلى المعركة مستقبلاً الأعداء بفرسه وسيفه يعمل فيهم قتلاً، فأوردهم مهلكة، فضلاً عن أنه كريم جزيل العطاء لرعيته وصحبه.

(١) على العلات: على كلّ حال. الدارع: الذي يرتدي درعه. يمدح الشاعر سيف الدولة بالجود، فلا يبخل مهما كان الأمر فينفق ماله كلّه في وجوه الخير، وهو في نفس الوقت بخيل على أعدائه فلا يهبهم حياتهم، بل إنه يسلبهم حياتهم.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٢. شيَّع: رافق. الفلّ: الهاربين. الحزون: ما غلظ من الأرض. البيض، الواحدة بيضة: الخوذ لباس الرأس. يصف الشاعر سلوك ممدوحه وطريقة قتاله أعداءه، إنه يترك قتلاه مضرّجين بدمائهم، وقد عانقوا الأرض ويتبع الفارّين فيُلحقهم بإخوانهم بضرب يقطع هاماتهم فيخرط سيفه خوذهم حتى يصل إلى أجسادهم، فتتساوى رؤوسهم بأجسادهم.

(٣) قسطنطين: ابن الدمستق. الكبول، الواحد كبل: القيد الضخم. يصف الشاعر ما كان عليه قسطنطين بن الدمستق، فرغم قيده أدهشه إكرام سيف الدولة له، رغم أنه عدوّ لدود جاء محارباً ووجب قتله؛ إنه الخلق الإسلامي؛ فالرحمة واجبة والحلم من طبع النفوس الكبيرة.

(٤) و (٥) يُخاطب الشاعر الدمستق آملاً أن يرجع إلى بلاد المسلمين ويقع أسيراً أو قتيلاً، وهو يُندّد بجبنه، وقد ترك ابنه يقع أسيراً بين أيدي المسلمين، وكثير من الجبناء الفارّين من قضائهم، ولكنّ قضاءهم أوقعهم في شرّ أعمالهم، فقد فرّ يحمل عاره في =

أَتُسْلِمُ لِلْخَطِّيَّةِ ٱبْنَكَ هَارِباً،
وَيَسْكُنَ فِي الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلُ[١]
بِوَجْهِكَ مَا أَنْسَاكَهُ مِنْ مُرِشَّةٍ
نَصِيرُكَ مِنْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلُ[٢]
أَغَرَّكُمُ طُولُ الْجُيُوشِ وَعَرْضُهَا
عَلِيٌّ شَرُوبٌ لِلْجُيُوشِ أَكُولُ[٣]
إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلَّيْثِ إِلَّا فَرِيسَةً
غَذَاهُ وَلَمْ يَنْفَعْكَ أَنَّكَ فِيلُ[٤]

= وجهه جرح بسيف الأمير، وترك مهجته، ابنه متخلّياً عن واجب الأبوّة نحو من يجب عليه حمايته والدفاع، وذلك أسوأ ما يفعله أب تجاه ولده. وكلما نظر في المرآة رأى أثراً لن يُمحى ممّا يزيده حسرة وكرهاً لمسببي ذلك الجرح.

(١) أسلمه: أودى به إلى الهلكة. الخطيّة: الرماح. يُنكر الشاعر على الدمستق موقفه الجبان من ابنه، فقد خذله وتخلّى عنه فأسلمه إلى عدوّه مؤثراً نفسه عليه، ويُندد به بأنه لا يُعتبر مصدر ثقة واحترام حتى من أقربائه، وبخاصة من زوجته التي تتألم لأسر ابنها، فكيف يُمكن أن تُواجه زوجها وقد تخلّى عن واجبه؟!

(٢) المرشَّة: الطعنة ترشّ دماً. الرنة: الصياح. العويل: البكاء المصحوب بصوت عالٍ. يُتابع الشاعر سخريته من الدمستق أن وجهه رسمت عليه السيوف ما جعله يغفل عن ابنه، إنها طعنة فجّرت دماء وجهه، فجعلته يُعول كطفل وينتحب خوفاً وجُبناً، فلا نصير له سوى ذلك، ومن ضعف عن حماية نفسه فليس بمقدوره أن يحمي غيره، ممّا جعله يتخلّى عن ابنه في حمأة المعركة.

(٣) و (٤) وردت الأبيات الثلاثة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٨٧. يُخاطب الشاعر الروم ساخراً من كثرة جيوشهم المنتشرة في طول بلادهم وعرضها، فثمّة من يشرب من دمائهم ويأكلهم، إنه سيف الدولة مهلك الأعداء، يُبيدهم ويفنيهم، وهم صيد سهل لأسد ينشب فيهم أظفاره فيمعن فيهم فتكاً، فالفيل إذا تمكّن منه الأسد فلا تنفعه ضخامته، وتكون عبئاً عليه فلا يستطيع حراكاً إذا تمكّن من ظهره فلا منجاة له، ذلك حال سيف الدولة مع كثرتهم التي تزيد من شرهه ونهمه، فبهزائمهم يشتدّ ساعده ويقوى في محاربتهم.

إِذَا الـطَّـعْـنُ لَـمْ تُـدْخِـلْـكَ فِـيـهِ شَـجَـاعَـةٌ
هِـيَ الـطَّـعْـنُ لَـمْ يُـدْخِـلْـكَ فـيـهِ عَـذُولُ[١]
فـإِنْ تَـكُـنِ الأَيَّـامُ أَبْـصَـرْنَ صَـوْلَـهُ
فَـقَـدْ عَـلَّـمَ الأَيَّـامَ كَـيْـفَ تَـصُـولُ[٢]
فَـدَتْـكَ مُـلُـوكٌ لَـمْ تُـسَـمَّ مَـوَاضِـيـاً،
فَـإِنَّـكَ مَـاضِـي الـشَّـفْـرَتَـيْـنِ صَـقِـيـلُ[٣]
إِذَا كَـانَ بَـعْـضُ الـنَّـاسِ سَـيْـفـاً لِـدَوْلَـةٍ
فَـفِـي الـنَّـاسِ بُـوقَـاتٌ لَـهَـا وَطُـبُـولُ[٤]
أَنَـا الـسَّـابِـقُ الْـهَـادِي إِلَـى مَـا أَقُـولُـهُ
إِذِ الْـقَـوْلُ قَـبْـلَ الْـقَـائِـلِـيـنَ مَـقُـولُ[٥]

---

(١) و (٢) يُخاطب الشاعر الدمستق رابطاً بين الشجاعة والطعن، فلكي يكون الطعن ناجعاً ناجحاً فلا بدّ له من قلب قُدّ من صوان شجاعة وصلابة وتصميماً، فالجبن لا يأتي بنصر والخوف في حامل السلاح وبال عليه، ففيه وبجيوش الروم، يكمن عذابه وهلاكه. وهو يُذكره بما فعله به سيف الدولة، فقد علم الزمان فنون القتال وكيف تكون الصولة والوثبة والغلبة.

(٣) مواضياً: سيوفاً قاطعة. شفرة السيف: حدّه. يُخاطب الشاعر الأمير مشيداً ببطولته، فالملوك أسماء وألقاب فارغة من مضمون معانيها، فهم يحاولون التشبّه به، ولكن هيهات فثمّة بين الواقع والتشبه بون شاسع، فالممدوح سيف ماضٍ في إرادته وبطولته وشجاعته وكرمه، فعلى حديه تسيل المكرمات، بطولة لا تُقهر وكرم لا يُنكر.

(٤) ورد البيت في: المحتسب، لابن جني ١: ٢٩٥/ ٢: ١٥٣، المقرّب، لابن عصفور: ١١، همع الهوامع، جمع الجوامع، للسيوطي ١: ٢٣، الدرر اللوامع ١: ٦، الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٨٧. البوقات، الواحد بوق: المزمار. يُندّد الشاعر بالملوك، إنهم أبواق فارغة تصوّت وتزمّر وتطبّل ويختبئون وراء خوفهم مستعينين بالجنود تحميهم وينتفخون بذلك نفخة كاذبة، وقد يتسمّون بالسيوف، ولكن التسمية تكون عبئاً ثقيلاً عليهم، فلا ينتفعون بها، بينما الممدوح يلقّب بسيف الدولة وهو جدير بلقبه يتمثّله حقيقة وواقعاً، تتجلّى فيه البطولة بأجلى صورها ومعانيها.

(٥) يفخر الشاعر بأنه سبّاق في التغنّي ببطولة سيف الدولة فيأتي بكلّ جديد، فبينما غيره =

وَمَـا لِـكَـلَامِ الـنَّـاسِ فِـي مَـا يُـرِيـبُـنِـي
أُصُـولٌ وَلَا لِـلْـقَـائِـلِـيـهِ أُصُـولُ(١)
أُعَـادَى عَـلَـى مـا يُـوجِـبُ الْـحُـبَّ لِـلْـفَـتَـى
وأَهْـدَأُ وَالأفْـكَـارُ فِـيَّ تَـجُـولُ(٢)
سِـوَى وَجَـعِ الْـحُـسَّـادِ دَاوٍ فَـإِنَّـهُ
إِذَا حَـلَّ فـي قَـلْـبٍ فَـلَـيْـسَ يَـحُـولُ(٣)
وَلَا تَـطْـمَـعَـنْ مِـنْ حَـاسِـدٍ فـي مَـوَدَّةٍ
وَإِنْ كُـنْـتَ تُـبْـدِيـهَـا لَـهُ وَتُـنِـيـلُ(٤)
وَإِنَّـا لَـنَـلْـقَـى الْـحَـادِثَـاتِ بِـأَنْـفُـسٍ
كَـثِـيـرُ الـرَّزَايَـا عِـنْـدَهُـنَّ قَـلِـيـلُ(٥)

= من الشعراء يكرّر ما حفظه أو سمعه من شعر تكسّبيّ. والحقّ أن المتنبي لم يخرج عن المألوف في الشعر التكسبيّ.

(١) و (٢) أرابه: حمله على الشكّ والريبة. يُدافع الشاعر عن نفسه مدَّعياً أن سائر الشعراء يتّهمونه بالكذب في أقواله وعواطفه، إنهم حاسدون لمكانته التي احتلها في قلب سيف الدولة، فليس لهم نسب يُفاخرون به وينتسبون إليه، وإنهم يحملون في نفوسهم عداء وكراهية للشاعر لأنه فاقهم في المنزلة وتقدّم عليهم في صناعة الشعر، وكان الأوجب أن يُنادوا به أميراً عليهم لسبقه في هذا المضمار، وسباق الجميع محاولة إرضاء الأمير والتعصب لبعضهم على بعض، ويبدو عدم اهتمامه بأمثال هؤلاء ولكن عقله الباطنيّ دائم الاشتغال بهم، وإن ادّعى المتنبي عدم اهتمامه لكان عليه ألّا يذكرهم أساساً. فغاية الشاعر أن يستثير ممدوحه ويحول بينه وبين غيره ممّن يمدحونه، وسعاياتهم للإيقاع لا تريم. فلا يتوقّفون عن بحث أخطائه والتشهير به.

(٣) يُعطي الشاعر رأيه بالحسد وأصحابه؛ إنه داء عياء قاتل إذا اقتحم قلباً لا يزول منه إلّا بموت صاحبه، وحسد هؤلاء محاولة انتزاع ما يمتاز به المتنبي عن سواه منهم.

(٤) المودة: الصحبة والصداقة. تبديها: تظهرها. تنيل: تعطي. يُخاطب الشاعر من ابتلي بالحسد من قبل الآخرين، فعليه أن يسمح لنفسه بمهادنة أمثال هؤلاء بإظهار المحبّة لهم أو بشرائها منهم، فإنهم لا يرغبون ببديل عن حسدهم مهما يكن الثمن باهظاً.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٢. الحادثات: النوائب =

يَـهُـونُ عَـلَـيْـنَـا أنْ تُـصَـابَ جُـسُـومُـنَـا
وَتَـسْـلَـمَ أعْـرَاضٌ لَـنَـا وَعُـقُـولُ[١]
فَـتِـيـهـاً وَفَـخْـراً تَـغْـلِـبَ ابْـنَـةَ وَائِـلٍ،
فَـأَنْـتِ لِـخَـيْـرِ الْـفَـاخِـرِيـنَ قَـبِـيـلُ[٢]
يَـغُـمُّ عَـلِـيّـاً أنْ يَـمُـوتَ عَـدُوُّهُ
إذَا لَـمْ تَـغُـلْـهُ بـالأسِـنَّـةِ غُـولُ[٣]
شَـرِيـكُ الـمَـنَـايَـا وَالـنُّـفُـوسُ غَـنِـيـمَـةٌ،
فَـكُـلُّ مَـمَـاتٍ لَـمْ يُـمِـتْـهُ غُـلُـولُ[٤]
فَـإنْ تَـكُـنِ الـدَّوْلَاتُ قِـسْـمـاً فَـإنَّـهَـا
لِـمَـنْ وَرَدَ الـمَـوْتَ الـزُّؤَامَ تَـدُولُ[٥]

= والمصائب. الرزايا، الواحدة رزيئة: المصائب، الحادثات. يتكلم الشاعر بنا الجماعة، إنه من قوم اعتادوا على تحمّل المشاق والتصدّي للأحداث الجسام والانتصار عليها، فمهما بدت كبيرة فالإرادة والصبر يجعلها تتلاشى وتصغر، وقد تختفي مع الزمن.

(١) يصل الشاعر إلى قناعة مفادها أن أجسام البشر مرمى صالح للمصائب التي تتوالى باستمرار، ولكن لا بدّ من أن تُصان وتُحفظ أعراضهم وعقولهم فلا تدنّسها الصغائر ولا الأحقاد لتبقى سليمة من الأذى.

(٢) يُخاطب الشاعر سيف الدولة منوّهاً بما وصل إليه الأمير إنه مجال فخر تغلب ابنة وائل، وفخرها منه ابتدأ فحقّ لها أن تفخر بخير الناس طرًّا.

(٣) يغمّ: يحزن. تغله: تميته غائلة مفاجئة. الغول: المهلك. إن ما يُحزن علياً سيف الدولة أن يموت عدوّه ميتة طبيعية، لأنه على يقين إذا ما التقيا في ساحة النضال كان مهلك العدوّ على يديه، وبذلك يستحقّ العدوّ الثناء أنه مات ميتة الأبطال لأن قاتله بطل الأبطال ومضنيهم.

(٤) وردت الأبيات الثلاثة الأخيرة في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٢. المنايا، الواحدة منية: الموت. الغلول: السرقة من مغانم الحرب. يصف الشاعر ممدوحه بأنه شريك الموت، والشراكة تقتضي القسمة العادلة في المغنم، لذا فقد يخون الموت الأمير لأنه انتهب حياة لم تهلك على أيدي الأمير، فكانت سرقة خيانة وغلول.

(٥) يروى «باشر» بدلاً من «ورد». الدولات، الواحدة دُولة بضم الدال: التبادل في =

لِـمَـنْ هَـوَّنَ الـدُّنْـيَـا عَـلَـى الـنَّـفْـسِ سَـاعـةً
وَلِـلْـبِـيـضِ فِـي هَـامِ الْـكُـمَـاةِ صَـلِـيـلُ(١)

دروع لملك الروم

قال يمدحه بعد دخول رسول الروم عليه:

[الطويل]

دُرُوعٌ لِـمَـلْـكِ الـرُّومِ هٰـذِي الـرَّسَـائِـلُ
يَـرُدُّ بِـهَـا عَـنْ نَـفْـسِـهِ وَيُـشَـاغِـلُ(٢)
هِـيَ الـزَّرَدُ الـضَّـافِـي عَـلَـيْـهِ وَلَـفْـظُـهَـا
عَـلَـيْـكَ ثَـنَـاءٌ سَـابِـغٌ وَفَـضَـائِـلُ(٣)
وَأَنَّـى ٱهْـتَـدَى هٰـذَا الـرَّسُـولُ بِـأَرْضِـهِ
وَمَـا سَـكَـنَـتْ مُـذْ سِـرْتَ فِـيـهَـا الْـقَـسَـاطِـلُ؟(٤)

= الأموال والحروب والانتصارات. الموت الزؤام: الموت السريع. يذكر الشاعر أن الفائز بالغنائم هو من شارك في الحروب فاستحقّ القسمة، لأنه عرّض نفسه إلى الهلاك فورد الموت الزؤام بقلب قوي صلب بلا خوف ولا وجل.

(١) البيض: السيوف. الهام، الواحدة هامة: الرؤوس. الكماة: الأبطال المدججون بالسلاح. يرى الشاعر أن النصر والعزّة لا يستجيبان لضعاف النفوس الذين يُفضلون الجبن على الشجاعة، فهؤلاء لا يستحقّون شيئاً في الوجود وإنما من يستحقّ ذلك هم الأبطال الحقيقيون الذين يعرّضون أنفسهم للموت ومجالدة الأبطال فيبطشون بهم ويهلكونهم وصليل السلاح يصمّ الآذان.

(٢) و (٣) يُخاطب الشاعر سيف الدولة منبهاً بأن تلك الرسائل التي حبكت بتزلّف ملك الروم ما هي في الحقيقة إلّا دروع خادعة، يحتمي وراء كلمات الودّ والملاطفة من جبروت الأمير، إنها محاولة كسب الوقت ليشغله عن مهاجمة بلاده. إنها درع محكم الزرد حبكت خيوطها بعناية بحيث تخدع الأمير وتحمله على المهادنة وعدم الاعتداء على بلدين صديقين، وقد حشيت بمديح يصدق في وصف الأمير، ويُستشفّ منها خضوع ومسكنة واستسلام لشروط من يسعى إلى سلام مزيّف ينمّ عن خوف كاتبها وميله إلى الموادعة والمسالمة.

(٤) وردت الأبيات الثلاثة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٤. القساطل، الواحد قسطل: الغبار المتصاعد في أرض المعركة. يبدي الشاعر استغرابه كيف =